**المحاضرة الرابعة:**

**البعد القومي في الشعر العربي الحديث والمعاصر**

لاشك أن الوعي الفكري الذي يمثله الوعي القومي عند كل شعب وأمة هو عنصر كل نهضة قومية،والفاعل الفعال في خلق اليقظة والتوثب الاجتماعي،ومن هنا فإن الروح المتفتحة،المسماة صوتها وديمومتها من الفكر هي الروح التي تستطيع حمل رسالة وبناء الأمة،لذلك كان الفكر العربي بوعيه القومي مصدر القومية العربية في مراحل تطورها التاريخي حسا فشعورا فتوثبا،فتمردا فانتفاضة،فثورة فعقيدة راسخة الجذور بأبعادها الفلسفية وروحها الفكرية ابتداء بمرحلة ما قبل الحرب العالمية الأولى قبل سنة 1914 حيث شهدت الحركة العربية صنوفا من الحكم الاستبدادي والاضطهاد السياسي فشهد الوطن العربي أكثر من ثورة ضد الاستعمار كالثورة العراقية (1919-1920) والثورة السورية (1925-1927) والثورة المصرية (1919)والثورة المراكشية (1925)،وهذه الثورات على الرغم من حدتها وعنفوانها فشلت ولكنها تبقى رمزا للوطنية العربية المخلصة.

لقد كانت اللغة العربية والتاريخ العربي من أبرز العوامل في تجسيد معنى الشعور القومي والإنساني لا تعني مجموعة ألفاظ منظومة بل هي الحياة الثقافية بمعناها العام و أداة الفكر التي تخلق في أبنائها القدرة على استحداث المفاهيم الواحدة ذوات البعد الحضاري والإنساني حيث نشترك مع التاريخ بوصفه زمنا فكريا متجددا،يحمل هموم الأمة وتطلعاتها وتفاعلها مع أحداث عصرها.

فاللغة والتاريخ العربيان هما روح الوعي القومي والفكر القومي وجوهرة من خلال هذا الإيمان باللغة والتاريخ ووحدتهما كانت الصرخة الشعرية العربية تندد بأعداء الأمة العربية من أجانب وطامعين وحكام مستبدين،ساعية على استقلال الوطن العربي بكل أقطاره،حاثة أبنائها على التمرد ضد الظلم وضد الاستكانة والتعلل بالآمال الخادعة ولعل بائية إبراهيم اليازجي (1847-1906) خير مثال على الشعور القومي المبكر فيقول:

تنبهوا واستفيقوا أيها العرب فقد طمى الخطب حتى غاصت الركب

فيم التعلل بالآمال تخدعكم وأنتم بين راحات القنا سلب

كم تظلمون ولستم تشتكون وكم تستغضبون فلا يبدو لكم غضب

الفتم الهون حتى صار عندكم طبعا وبعض طباع المرء مكتسب

لله صبركم ولو أن صبركم في ملتقى الخيل حين الخيل تضطرب

كم بين صبر غدا للذل مجتلبا وبين صبر غدا للعز يجتلب

فشمروا وانهضوا للأمر وابتدروا من دهركم فرصة ضنت بها الحقب

لا تبتغوا بالمنى فوزا لأنفسكم لا يصدق الفوز ما لم يصدق الطلب

خلوا التعصب عنكم واستووا عصبا على الوئام ودفع الظلم تعتصب

لقد أضاف الشاعر العربي إضافة فعلية عامل الاتصال إلى عوامل الوحدة في كثير من أحداث التاريخ الإنساني،فكان للنضال الوحدوي صداه.

**تعريف الشعر الوطني** :

هو الشعر الذي ينظمه الشاعر مضمنا إياه المعاني والمشاعر الوطنية وحب الوطن والذود عنه ، وهو وليد الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية مر بها العرب في بداية العصر الحديث ، فقد عاشت الشعوب العربية تجربة الاستعمار وقد افرز هذا الوضع جملة من المفكرين والأدباء والشعراء تبلور لديهم وعي عميق بتدهور الحياة فهبوا داعين إلى استنهاض الهمم و الانعتاق من الذل والعبودية

**تعريف الشعر القومي** :

يرتبط مفهوم القومية بمفهوم الأمة من حيث أنها الانتماء إلى أمة محددة...والأمة هي الشعب ذو الهوية السياسية الخاصة الذي تجمع بين أفراده روابط موضوعية شعورية روحية متعددة تختلف من شعب لآخر .

لقد ارتفعت دعوات صارخة لتحرير الوطن العربي من العبوديات ، عبودية الاحتلال وعبودية التأخر والانحطاط وكانت دعواتهم تلك تقوم على فكرة البعث القومي فتركزت مطالبهم على محورين أساسيين هما :

\*التغني بالأمجاد العربية الماضية .

\*الدعوة للثورة والنهوض العربي .

**دوافع الشعر الوطني والقومي :**

\*الاعتزاز بالوطن والتفاخر بأمجاده مثل إلياذة الجزائر لمفدي زكريا.

\*حث الناس على الدفاع على أوطانهم ومجابهة كل معتد.

\*بعث الأمل في نفوس الشعوب وإبراز قوتها وقدرتها على التحرر من عبوديتها.

\*بيان أهمية قيم العدالة والحرية والكرامة .

\*تمجيد البطولات وأصحابها وتخليدها لتبقى شاهدا على مر الزمان .

**أسباب ظهور الوعي الوطني والقومي:**

\*الحكم الاستبدادي والاضطهاد السياسي الذي تعرض له العرب .

\*الحربين العالميتين وأثرهما في تطلع الأمة العربية إلى إنهاء الصراع مع قوى الاستعمار الغربي .

\*هزيمة 1967 وأثرها البليغ في بعث القومية العربية والشعور بالانتماء لهذا الوطن الكبير .

يعتبر أمير الشعراء أحمد شوقي من أكثر الشعراء العرب دعوة إلى القومية العربية حيث يقول في قصيدته الخالدة " نكبة دمشق " والتي يصور فيها العدوان الفرنسي على سوريا فيقول:

سلام من صبا برى أرق ودمع لا يكفكف يا دمشق

ومعذرة اليراعة والقوافي جلال الرزء عن وصف يدق

وذكرى عن خواطرها لقلبي إليك تلفت أبدا وخفق

وبي مما رمتك به الليالي جراحات لها في القلب عمق

تكاد لروعة الأحداث فيها تخال من الخرافة وهي صدق

وقيل:معالم التاريخ دكت وقيل:أصابها تلف وحرق

**ب- شعراءالجزائر:**

إن المتتبع للشعر الجزائري يجده مسايرا للحركة الأدبية و طامحا لأهداف سامية ذات أهمية وطنية وقومية.

ولأن الشاعر الجزائري قد وعى دوره المنوط به وحاول أن يجسده كانت آراؤه تعكس إيمانه بما يفعل،وفي هذا الصدد يقول رمضان حمود: "بل إن دور الشاعر الريادي لا يقف في حدود النظر إلى الواقع والتفاعل مع الحاضر فحسب،إنما دوره أن ينظر إلى مستقبل شعبه،وأن يهيئ التربة الصالحة للخلف".

هذا هو الدور الذي نادى به "حمود رمضان"واصفا على عاتق الشاعر مسؤولية بناء المستقبل،وعلى هذا النهج سار الشعراء الجزائريون مؤمنين بدور الشعر،فهذا مفدي زكريا (1908-1977) يقول:

رسالة الشعراء في الدنيا مقدسة لولا النبوءة كان الشعر قرآنا

هكذا قدس مفدي زكريا الشعر لأنه ليس كلاما وإبداعا فحسب بل رسالة وأمانة، وفي هذا السياق يقول "رمضان حمود".

وشعري كالحسام يصون عرضا بلا حرب عوان ونضال

يصادم من يعيث بمجد قومي ويطعن ذا الضلال بلا نزال

وبالوعي نفسه يبرز محمد العيد آل خليفة دور الشعر لما له من أنفاس على الشعب إيمانا منه بأن الأثر كبير وأن الشعر والشعب متعلقان ببعض:

لقد بذر الشعر فيه الفدى وحسبك بالشعر من باذر

وقفت على الشعب جهدي به وكرست عمري إلى الآخر

لقد كان الوطن المسلوب في عهد الاستعمار يدفع الشعراء إلى التعلق به تعلقا مكانيا حيث الرقعة الجغرافية ""مكانة الأرض،وقد يتضمن قيما دينية "حب الوطن من الإيمان" وثقافية "البعد التاريخي والإنتماء الحضاري".

فهذا محمد العيد آل خليفة يقول:

إذا ما رمت للأوطان عزا فجد بالنفس واستبق الفداء

وهذا الشاعر عبد الكريم عقون يتغنى بالجزائر فيقول:

بلادي الجزائر إذ تجتليها ترى الخلد في صفحة رائعة

بلادي التي تطلع الشمس فيها دماء تضيء الربى اليانعة

كما تفاعل الشاعر الجزائري مع ما حدث في العالم العربي وكانت منحة فلسطين من أبرز القضايا التي تأثر بها وانفعل بها بصدق وإخلاص وانطلاقا من هذا نجد الشعراء الجزائريين التفتوا بمشاعرهم اتجاه هذا الوطن الغالي ومن بينهم أحمد سحنون الذي أبدى حماسا كبيرا في الدفاع عن القضية فيقول: تحميسا للمشاعر على خوض الحرب و ساخرا من الصهاينة الذين نعتهم بالذباب:

لقد شبت بأرض الشرق نار لها القبة الأولى التهاب

وأنتم خير من خاضوا لظاها فكيف يروعكم هذا الذباب

وهذا محمد العيد آل خليفة يحث أبناء وطنه على الوقوف بجانب فلسطين في محنتها فيقول:

هلا أغثت فلسطين منك بلفته غيري على شعب هناك مروع

القبلة الأولى تصبح و تشتكي منقسمة المستأثر المستنقع

ونجد كذلك الشاعر الشهيد "الربيع بوشامة" الذي دعا إلى استنهاض الهمم دفاعا عن الأرض المقدسة فيقول في قصيدته "صوت الجهاد"

فتى هيا فلبي النداء ولاقي المنايا بساح الغدا

فلسطين في النار لهب العدا تنادي الجهاد الجهاد الجهاد

الخاتمة:

إن أهم ما يمكن قوله أخيرا أن الشعر العربي الحديث قد ساهم في بث الوعي الوطني و القومي ، فرسم معاناة الأمة العربية مع الاستعمار وشجع نضالها ومقاومتها من اجل العيش بسلام.